

الانهماك في الهلقيات أسباب النكبات

[الانهماك في الهلقيات أسباب النكبات(178)]

خطبة جمعة: (2 من شهر ذي القعدة / 1429هـ)

(للشيخ الهمداني: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله تعالى-)

=====

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَهْوُوا إِلَا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأهور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس! إنه يجب على المسلمين أن تكون لديهم نباهة عن أسباب النكبات فإن أسباب النكبات كثيرة، وقد أبانها الله سبحانه وتعالى في كتابه، فما من خير إلا وأرشد إليه العباد، وما من شر إلا وحذروا منه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَهِيَ لَكُمْ مِيلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 26-28].

إن من أسباب النكبات والفتن والحسرات لهو الله، هذا للهو الذي ابتلي به العباد إلا من رحم الله، يسبب للعباد نكبات في دينهم ودنياهم، لذا حذر الله سبحانه وتعالى منه، فقال عز وجل: ﴿الْهَآكِمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 2-1]، وهذا على سبيل التحذير، أي: شغلكم التكاثر بالدنيا والتدافع فيها حتى متم وصرتم من أهل المقابر، والدليل على ذلك: «أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد هريضاً، فقال: ظهور ظهور، قال: ظهور! بل همى تقور على شيخ كبير تزيه القبور، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فنعمر إذاً، فهات ذلك الشخص».

فالمقصود بقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 2] حتى متم وصرتم من أهل القبور، ثم جاء بعد ذلك تهديد في هذه السورة العظيمة: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 3-4]، تهديد بعد تهديد كما يقول الحسن رحمه الله، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: 5]، أي: لو كنتم تعلمون علم اليقين ما حصل منكم هذا الانشغال وهذا اللهو وهذا التكاثر حتى متم، ولكن تلاميذ علمكم وضعف علمكم وساء ظنكم، ونظير ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 22] * ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 23]، فهؤلاء الذين ساء ظنهم بالله ساء: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]، ضعف إيمانهم حتى زعموا ألا يلقوا الله سبحانه وتعالى، ضعف إيمانهم وضعف يقينهم حتى كذبوا بالساعة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا كِذْبًا مِثْلَ مَا كَذَّبُوا سَعِيرًا * إِذَا رَأَوْهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: 11-14]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمِ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِقْوَالٌ ذَرَّةٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 3]، فالله يعلمها وأنت لا تعلمها، لا تعلم حين تقوم الساعة.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: 5]، أي: لو قوي يقينكم وعلمتم علم اليقين ما حصل منكم هذا اللهو وهذا التكاثر، ثم بين وجه التهديد الذي تقدم ذكره وتكرر مرتين، بقوله سبحانه: ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: 6]، كان التهديد أنه سيريهم الجحيم وسيذيقهم العذاب الأليم، وأنهم سيرونها يقيناً كما أنهم لم يكن لهم يقيناً في هذه الدنيا بما يلقونه وما يقدمون عليه، فإن الله سيريهم الجحيم يقيناً: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: 7]، لابد لكم منها يقيناً ومن دخولها محققاً.

وأبان لهم أن الله سبحانه أنعم عليهم نعماً كثيرة، لم يسخرها في طاعته، فذكرهم هذه النعمة: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، الله أنعم عليهم بنعم لا تحصى ولا تعد: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا

نِعْمَةً اللَّهُ لَا تُحْصَوُهَا [إبراهيم:34]، فسخرُوا تلك النعم في غير مرضاة الله، سواء نعمة الجوارح التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** [الإسراء:36]، أو كانت نعم أخر التي يقول الله سبحانه وتعالى في جهاها وبيانها أنها كلها منه سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** [النحل:53]، فاهتمن الله عليهم بنعم، وأخبرهم أن تلك النعم التي أهدهم وأعدهم لها وأكرمهم بها؛ أنهم لم يسخروها فيها أراد الله سبحانه وشرع: **﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾** [التكاثر:8].

لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية يقول كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر.. السورة، فقال: يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأرضيت»، فحصر النبي صلى الله عليه وسلم مال الإنسان في ثلاثة أمور لا يمكن أن يتعداها.

الأمر الأول: إذا أكله أكله، وربها إذا أكله من حلال نفعه وإن أكله من حرام ضره.

الأمر الثاني: إذا لبسه أيضاً هذا ماله.

الأمر الثالث: إذا تصدق به وهذا أبقي، وهذا هو الهدخر، وهذا هو المقرض: **﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾** [التغابن:17]، «وقد تصدق النبي صلى الله عليه وسلم بشاة، ثم قال: هل بقي منها شيء؟ قالوا: لم يبق منها شيء غير كتفها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بقيت كلها إلا كتفها»، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكتف يأكله هو وأهله، ولكن الذي يتقدم أمار الإنسان هو الباقي: **﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾** [النحل:96]، وثبت عند الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما طلعت الشمس قط إلا بعث الله بجنبتيها ملكان: فيناديان يسرعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهي»، وهذا دليل على أن التكاثر في المال يلهي، وأن الذي يكثر في المال، لا يقبل على ربه كما يقبل عليه من هو مخف ومن لا تشغله الدنيا: «فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهي» أقبلوا إلى ربكم.

فهذا دليل على أن التكاثر ملهي: **﴿الْهَاطِرُ التَّكَاثُرُ﴾** [التكاثر:1]، واللهي الثاني: الحياة الدنيا، فالله سبحانه وتعالى جعلها على هذا الحال أنها ملهية، وأعلمهم بذلك ليحذروا من لهوها وزخرفها وزينتها قائلاً سبحانه: **﴿اعلموا أنها الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾** [الحديد:20]، وكل صنف من هذه الأصناف، ونوع من هذه الأنواع هو لهو بذاته، الحياة الدنيا لهو سواء لها بنيات أو بزراعات أو غير ذلك من المباحات، وهكذا أيضاً زينة، فهذا يلهو

بزينته وبجهاله وبجسمه وبهسكنه وبهركبه وبأهله وولده، وهكذا يلهو بالتفاخر، وأن عنده ما ليس عند فلان، ولديه ما ليس لديه وهكذا من الجاه والهنصب أو الأهل، كل هذا لهو، كل هذا من الهليات عن الطاعات، وتكاثر أيضاً وتكاثر بينكم، فلان عنده كذا، ولهاذا لا يكون للأخر كذا.

إذاً: هذا كان دافعاً له إلى أن يلهو عن الأهم الذي خلق من أجله وهو عبادة الله سبحانه وتعالى إلى أن يصل إلى مستوى الآخر، وصدق ربنا سبحانه وتعالى: ﴿اعلموا أنها الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [الحديد:20]، كلها لهو.

اللهو الثاني: الأولاد والأموال، فإن الأولاد لهو، مبخلة ومجنبة، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، يلهو به الإنسان عن الطاعات، وقد أخبر الله أنهم فتنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَزْوَاجٍ مِّمَّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ يَعُدُّونَ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:14]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:15]، فهذه فتن مهليات، الهال لهو والولد لهو، وربها هذا اللهو عن طريق السراء أو الضراء بهذا الولد، إها عن طريق مفرج به، وتقدير محبته على محاب الله سبحانه وتعالى وهذا غاية اللهو، وإها عن طريق أذى من قبله يلهيك عن طاعة الله ويشغلك عن طاعة الله وذكره، وكذا الهال: ﴿وَمَا أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبا:37]، فليس كل الهال صالحاً لك، وإنها الصالح لك والنافع لك ما لم يلهك، أها إذا أهلك فإنه لهو وضرر عليك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:9]، أنت تريد لنفسك الخسارة؛ قد تأتيتك الخسارة من أحب شيء إليك وأنت تحسب أنك تحسن صنعاً، تأتيتك الخسارة من ولد، تأتيتك الخسارة من أهل أو من مال أو غير ذلك، فهذا تحذير إلهي من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:9].

الهلي الثالث: طول الأهل، ما أكثر ما يلهي الناس بطول الأهل، حتى وإن كان كبيراً في السن: «قلب الشيخ شاب في اثنتين، -كبير في السن ولا يزال قلبه طاهراً في الدنيا لا يزال طاهراً فيها-: حب الدنيا وطول الأهل»، وقال: «منهومان لا يشبعان: منهوم في دنيا لا يشبع، ومنهوم في علم لا يشبع»، هذا عنده طول أهل في العلم، والآخر عنده طول أهل في دنيا، هذا طول الأهل قد ذمه الله سبحانه وتعالى إذا كان مهلياً عن ذكر الله، وأخبر أن الكافرين سيندهون على ما صنعوا من أهلهم الدنيوية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّهَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَهْلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:3-2]، هذا تهديد وهذا استدراج لهم أن جعلهم الله عز وجل يلهون بالآمال الطويلة التي لا تتفعمهم: ﴿فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:3]، ﴿سَنَسْأَلْهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَهْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الاعراف:182-183]، «حتى إذا فرحوا بها أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب

العالمين [الأنعام: 44-45]، يتحسرون يوم القيامة على أهالهم السيئة، لذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحذر أصحابه وسائر الأمة عن هذا الأهل الهلعي عن ذكر الله وطاعته، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، فاستفاد ذلك ابن عمر فائدة عظيمة، وكان يقول: إذا أهسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، هذا درس أثر فيه تأثيراً بالغاً حتى قال: ما أهسيت ليلة إلا ووصيتي مكتوبة عند رأسي، لها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»، فاستفاد ذلك فائدة عظيمة، وقصر أهاله، قصر الأهل؛ باعتبار أنها دنيا زائلة، فإن لم يكن موتك اليوم فإذا غداً وإن لم يكن غداً فبعد غد، فما الفائدة من الطهوحات المضررة بالإنسان، التي هي ليست طهوحات دينية نافعة، لا في صييار ولا في قيار ولا في حفظ ولا في علم ولا في دين، وإنما هي طهوحات لزائل ولفان.

وهكذا أيضاً درس آخر أعطاهم عليه الصلاة والسلام: «خط خطأ مربعاً، وخطاً مستطيلاً خارجاً منه وخطوطاً معترضة، ثم قال: هذا الإنسان وهذا أهله خارج عنه»، أي: عنده أهال بعيدة نطاق قدرته وخارج طوقه ما يدركها، أهال بعيده، «فبينما هو كذلك إذ اعترضه الخط الأقرب، فإن لم يصبه هذا نهشه هذا»، فما يصل إلى أهاله أبداً، ليس كل إنسان له أهال دنيوية يصل إلى أهاله، لا شك على أنه يحضره الأجل ولم يصل إلى أهاله التي أراد، هذا شأن ذوي الأهال الطويلة الدنيوية.

وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عبد الله بن عمرو درساً ومن يسمع وسائر الأمة: «هر وهو يصلح خصاً قد وهي، بيت من القش، من القصب والخشب، فقال: هاذا يا عبد الله! قالوا: قد وهي يا رسول الله، نحن نصلحها، قال: ما أرى الأهر إلا أقرب من ذلك»، يعني: الأهر أقرب من أن يكون أعماركم إلى مستوي أن تفرغوا من هذا البيت وأن يهدم هذا البيت، وبناء البيت الذي يسكنه الإنسان هباج، ولكن هذه كلها دروس من رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة في تقصير الأهال الدنيوية.

طول الأهل الدنيوي هلكة، وأدلة ذلك كثيرة: «فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتم».

الهلعي الذي يليه: لهو الغناء والرهازف والهرطبات والسهاعات التي يسهعها كثير من الناس فيلهون بها وينتعشون عليها، وربها أحدهم يصبح عليها ويبيت عليها، هذا هلعي وفسد هذا مهرض للقلوب هلعي عن ذكر الله، لا يجتمع حب الغناء وحب كتاب الله، وحب العلم النافع والدين في قلب رجل أبداً، ذكر هذا أهل العلم وأدلة ذلك كثيرة: «فإن الغناء ينبت النفاق في القلب، كما

تثبت البقل في حويل السيل»، لا شك أن هذه بذرة نفاق وبذرة مرض؛ وجود الهلقيات وحب الهلقيات وحب السهاعات والإعراض عن ذكر الله، هذه بذرة نفاق وبذرة مرض.

قاله سبحانه حذر من ذلك فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان:6]، توعدهم الله سبحانه، هذا شأن الكفار الذين كانوا مع القينات وكانوا مع الهلالي، فأخبر الله عز وجل أنهم متوعدون بذلك، فسر ذلك ابن مسعود الذي يقول كما ثبت عنه: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لركبت راحتي إليه، ما من آية نزلت إلا وأعلم أين نزلت وفيه نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني، لركبت راحتي إليه، هذا ثابت عنه، فسرهم بالغناء، لهو الحديث: الغناء، ثم أيضاً تلهيهم عبد الله بن عباس فسرها بهذا التفسير لهو الحديث: الغناء، ثبت عنه ذلك في تفسير ابن جرير وفي غيره، وابن عباس من تعلمون في التفسير أيضاً، مع أنه من تلهي ذلك البحر ابن مسعود ومن تلهي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنه فوق الألف من الأحاديث ومن العلوم النافعة كثيراً، ومن أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي قال عنه أبو وائل شقيق بن سلمة: أهر علي بن أبي طالب ابن عباس على الهوصل، فخطب الناس، فكان يقرأ سورة النور وفي لفظ: سورة البقرة فيفسرها تفسيراً لو سمعته الروم والديلم لأسلموا، لو سمعته هؤلاء لأسلموا تفسيراً عظيماً، وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس والسند ثابت إليه، فلقبه بترجمان القرآن، قال شيخ الإسلام: وقد عاش بعد ذلك ابن عباس ستة وثلاثين سنة بعد هذه الترقية من ابن مسعود مكثت ستة وثلاثين سنة وهو ينهل من العلوم، فلا شك أنه تحصل على مزيد من ذلك، كيف لو أدركه ابن مسعود في آخر عمره، وقد تحصل على تلك العلوم؛ لا شك أنه أكثر نحو هذا.

الشاهد من ذلك أن هذين الإلهامين الصحابيين الجليلين فسراها بلهو الحديث، فهذه بلية تعتبر ومرض على الناس لهو، يلهى به الناس من الهلالي الدنيوية، فالحذر من ذلك الحذر عباد الله.

اللهو الذي يليه أيضاً من الهلقيات عن الطاعات: الهناظر والبهرج والزينة، فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له خبيصة، أهداها له أبو جهر وكان ويبيع في البر رضي الله عنه، فصلى فيها فنظر إلى بعض أعلامها فشغلته، فلما انتهى من صلاته خلعها وقال: « اذهبوا بخبيصتي هذه إلى أبي جهر وائتوني بانبجانية أبي جهر » تطيباً لخطره حتى لا يقول: رد علي خبيصتي، فلعل عندي شيء أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان علي فسله أن يأخذ من عنده انبجانية ليس فيها أعلام، كل ذلك حفاظاً على ألا يحصل منه لهو بها، ولا يشغل بالنظر إليها، فالهناظر لهليات، ورب مسجد تدخل فيه تشغل فيه عن الصلاة، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزخارف في المساجد وأخبر أن ذلك من علامات الساعة، فهذه الهناظر لهلية، وما أهر الله بغض البصر وعدم هد العين، إلا لها يحصل من

وراء ذلك من الخلل الديني واللهو عن طاعة الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَهْدِنَا إِلَىٰهَا مُتَعَنًا بِهٖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهَا﴾ [طه: 131]، مجرد هد العين لا تهدن عينيك، اغضض عينيك عن زهرة الدنيا، ويا له من توجيه إلهي! فإن الإنسان إذا أطلق بصره إلى الهلهيات شغلها؛ شغل باله وشغل قلبه عن الطاعات، وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والجلوس على الطرقات، قالوا: يا رسول الله، مجالسنا ما لنا منها بد، قال: إن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: ما حق الطريق؟ قال: غص البصر وكفى الأذى ورد السلام والأثر بالمعروف والنهي عن المنكر»، في حدود ما كان الإنسان محافظاً على دينه فيه، وإلا إذا أطلق بصره إلى الهار والهاراة والرجال والنساء ضعف دينه، ولها عن دينه، وأصبح مشغولاً هوسوساً بها هو من أهور الدنيا، سواء بالنساء أو بغير النساء والهناطر وما إلى ذلك، فلهذا أمر الله عز وجل بقصر الأهل وبغض البصر حفاظاً على الدين وبعداً عن الهلهيات عن طاعة رب العالمين.

أيها الناس! إن الهلهيات كثيرة، ولا شك أن الهلهيات لها آثار، فنسأل الله عز وجل التوفيق لها يحبه ويرضى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله ومن سلك نهجه واهتدى بهداه إلى يوم لقاء رب العالمين.

أها بعد:

فمن آثار الهلهيات الغفلة، ما تسلطت الهلهيات على شخص إلا وخيبت عليه الغفلة، سواء ما ذكرنا من الهلهيات أو من غيرها، لذا قال رب العالمين سبحانه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، ما السبب في هذا؟ الحساب أت وقريب، وكل من مات قاهت قياسته، فما السبب في غفلتهم؟ قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثًا إِلَّا اسْتَهْوَاهُمْ وَيَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنبياء: 2-3]، هذا هو السبب الذي سبب لهم الغفلة والقسوة والفتنة، وسبب لهم شروراً كثيرة اللهو، قلوب لاهية ما هي منتبهة للدار الآخرة، ولا لقاء الله عز وجل، يهرض ما ينتبه، يفتن ما ينتبه، يقسو قلبه ما ينتبه ما زال لاهي، هكذا يصاب بالسراء والضراء ما ينتبه.

إذاً: هذه القلوب معاقبة بغفلة، وأيضاً هذه الغفلة لها نتائج أخرى، وهي القسوة: ﴿فَبِمَا نَقُضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا

به ﴿[الهائدة:13]، هذه القسوة أيضاً والغفلة واللغو لها تركيبات أخرى من الجرائم؛ أنهم ينسون
الواعظ والتذكيرات ويتغافلون عنها ما لها أثر، كما ذكر الله عز وجل في الآيات المذكورة: ﴿وَلَوْ
أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنْهُمْ فَعَلُوا مَا
يُوعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَدَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء:66-68]، فلها آثار خطيرة.

من آثارها وأضرارها؛ من آثار اللغو وأضراره الانشغال عن الطاعة وكفى بذلك ضرراً على الإنسان، أن
يقبل على الدنيا ويصير عبداً لها ويسخر لها، والناس ينهلون من طاعة الله ويقبلون على عبادته
ويدخرون درجات وطاقات يوم القيامة، والله إنها لحسرة، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِلًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ
اللَّهِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:9-11].

فالانشغال عن الطاعة من أضرار اللغو ومن آثاره السيئة على الإنسان، قد حذر الله سبحانه
وتعالى من ذلك.

وهكذا البعد عن ذكر الله، والبعد كذلك عن عهارة المساجد، وقد أثنى الله على المؤمنين الذين لم
يصابوا ببلاء الغفلة وببلاء اللغو؛ لأنهم يقيمون المساجد ويقيمون ذكر الله: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ
أَنْ تَرْفَعُ وَيَذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:36-37]، التجارة ما هي محرمة، والبيع ما هو محرم، لكن إنها المحرم اللغو عن طاعة
الله في ذلك: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:37]، قلوبهم سليمة.

أيها الناس! إن من حصل منه هذا البلاء -بلاء اللغو- من ابتلي به وانشغل به معرض للهلاك،
والله سبحانه وتعالى أخبر عن أمر مضوا أنهم هلكوا بسبب ذلك بسبب اللغو، قال الله في
كتابه الكريم: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ
نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:50-51]، هذا اللغو
يسبب نسيان رب العالمين؛ أن الإنسان ينسى ربه، وينسى لقاء ربه، ففي صحيح مسلم أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم أكننت تظن أنك ملاقى؟
فيقول: لا، فيقول: فاليوم أناسك كما نسيتني»، ولهذا صار منشوراً عند الناس، فلان: فلان له
ربه، الهم ربك، وهي كلمة لها أصل، فبعض الناس ينسى ربه سبحانه وتعالى، ينسى ذكره

وينسى طاعته ويخلد إلى الدنيا، فهذا هو الهلاك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: 70]، أي: اتركهم اعرض عنهم: ﴿وَعَرَّضْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٍ بِهَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِهَا كَسَبُوهَا لَهْمُ شَرَابٍ مِنْ حَوِيٍّ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70]، أي: سلخوا للعذاب، أفسلوا: سلخوا للعذاب بكسبهم السيئ وبغفلتهم ولهوهم.

وتأمل هلكة أمر مهم هلكوا ولهو بالدنيا، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن نبيه هود وهو يحذر قومه من اللهو بالدنيا: ﴿اتَّبِعُونِ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 131-128].. إلى أن قال: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ * وَهِيَ نَحْنُ بِهِمْ عَذِيبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ لَهَا كَانُوا أَكْثَرُهَا مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 140-136]، فهلكوا بسبب لهوهم بالدنيا والبنائيات والهشاكل والإعراض عن طاعة الله، وفرعون يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ يَبِينُ﴾ [الزخرف: 52-51]، الرجل لا هي، الرجل طايش، شغال بالدنيا، ولها عين الموت: ﴿قَالَ أَمَنْتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، قال الله: ﴿الَّذِينَ وَقَدَّ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ﴾ [يونس: 92-91]، أي: لهو في غفلة.

وسبأ كانوا في نعمة، لهو عن طاعة الله سلها الله عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: 15]، يا لها من نعمة! يعني: لا يخرج عن يمينه إلا وعنه جنة وعن شماله جنة فهو بين جنتين، هر بين جنان يعيشون في الجنات: ﴿كَلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15]، فأعرضوا ولهو بالدنيا وهرقهم الله كل مهزق: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَلْنَا لَهُمْ جَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَوْطٍ وَأَنْثَى وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [سبأ: 17-16]، وفي الآية قال: ﴿وَمَرْقَنَاهُمْ كُلَّ مَرْقَنٍ﴾ [سبأ: 19]، جعلهم شذر هذر، بسبب عدم إقبالهم على طاعة الله وبلوهم بهذه الدنيا وبالفتنة، وهكذا أجهل الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزِينَةِ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 38]، قال الله في الآية: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنهَمُّرُ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

احذروا الرلهيات عن الطاعات عباد الله، فإنها والله ما حصلت نكبة في الدنيا، بل ولا ضرر في

الآخرة إلا بسبب ذلك: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ [الشورى: 30]...